المؤلفة من أب وأم وأخت، شؤون المكان. وحوّله من مقهى إلى مسبح متواضع يعيش من بدلات دخول الأصدقاء والمعارف. بعد حين، لمعت في رأس المستثمر المحنك فكرة إغلاق باب المسبح الخارجي وتوظيف شاب ليتولّى إسماع كل من يبغي دخول الـ«سبورتنغ» بأنّه ناد خاص، وبالتالي يستدعي ارتياده التعريف به من أحد الزبائن الدائمين، وذلك بعدما وزّع بطاقات الدخول على زملاء الدراسة وبعض الأصدقاء، فعرف المسبح رواجاً كبيراً خصوصاً من الشريحة العليا من الطبقة الوسطى.

أحاط أبو نصار المكان بهالة، فأمسى كشف خصوصية الأخير غاية مجتمع رأس بيروت. حينئذ، تواترت الأخبار في المدينة عن «شخصيات» لم يستقبلها الـ«سبورتنغ»، وعن طلبات اشتراكات طال النظر في أمرها، ما وسم رواد المكان بالنخبوية!

رخّص مرسوم جمهوري صادر في الستينيات استثمار الأملاك البحرية، فأفاد «السبورتنغ» من 10 آلاف متر مربع!

في تفاصيل الحروب المتوالدة من أرحام لا تعرف الكمون، عرف أبو نصار كيف يسوي أموره، على وقع الرصاص المتصاعد! بدبلوماسية فائقة، استقطب إلى زوجي برك السباحة خاصته من هم في خصام شديد، إلى حدّ أن «المؤسسة اللبنانية للإرسال» أرسلت فريقاً اعلامياً، زمن الحواجز بين شطري بيروت، للتقصّي عن سبب استقطاب الـ«سبورتنغ» لأعداد متزايدة من الراغبين في الترويح عن أنفسهم والانعزال عن الخارج المعطوب، ولو لفترة!

يغصّ في نفس «الختيار»، كما يُلقّب جورج أبو نصار، بحسب رواية الابن وليد، الذي يدير المكان حالياً مع أخيه وابن عمته، كيف أن جنديين اسرائيليين امتثلا بهدوء لرغبته في منعهما من السباحة في الـ«سبورتنغ» بحجة أنّه ناد خاص، وأن مقاومته لهما لم تتطوّر إلى أبعد من ذلك.

كان أبو نصار استبق أيضاً تنفيذ رغبة الوجود السوري في تحويل المسبح إلى ثكنة عسكرية بمفاوضة الضابط المسؤول، وتوسّله ارسال فصيلة من الجيش تحرس «النادي» مساءً، وتستبدل «الشورتات» والقمصان الصيفية بالبذلات العسكرية نهاراً، فكان له ما رغب فيه، مع الإشارة إلى أن جلّ العاملين في المكان اليوم هم من عائلات الجنود.

مرّ في المكان عديد الطاقم السياسي من إقطاعيين وحزبيين وعسكريين، كملكة جمال الكون جورجينا رزق والراحلين فاتن حمامة وأحمد رمزي في أثناء تصوير فيلم في لبنان، وفريق عمل فيلم ألماني عن الجاسوسية، وأخيراً بطلات فيلم «يلا عقبالكن»...

يتحدّث وليد أبو نصار بلغة مقدّرة الإرث العائلي، وصنيع الوالد، فيقول: «هام والدي في حبّ هذا المكان إلى حدّ أن هذه العلاقة كانت مدعاة للغيرة من قبل أمّي! عندما اشتدّت وطأة الحرب أصرّ على أن نترك لبنان بمعية أمي إلى الولايات المتحدة، فيما بقي للحفاظ على الـ«سبورتنغ» الذي لم يغلق يوماً منذ تاريخ افتتاحه».

> أمسى كشف خصوصية نادي السبورتينغ غاية مجتمع رأس بيروت

يروي الرجل، الذي تبدو آثار الشمس جلية على محياه عن خصوصية مجتمع رأس بيروت، حيث «الكوزموبوليتية» صفة واضحة، وحيث لا تعرف الأجيال المتسلسة مفردتي «نحن» و«هم»، كما يسقط حاجز الهويات اللبنانية المتنابذة.

يتحدّث مبتسماً أنه تطبّع بعادة أهالي رأس بيروت المتمثلة في القسم بـ«غربته»، بعدما انتقل إلى السكن في المتحف، مضيفاً أن الرباط مع هذه الجغرافيا يصعّب على المرء مبارحتها. يسرد أنّه لا يزال يواصل إصلاح أضرار الشتاء الفائت، مبرّراً سبب تكلفة بدلات دخول المسبح المرتفعة، وأنّه يضع نصب عينيه الحفاظ على التراث الذي يمثّله المكان، الذي يرتاده أفراد عائلته قبل سلالات الزبائن الأوفياء.

هناك، يتأكد للمرء بعد معاينة المكان عن كثب أن القطع مع الماضي ليس بمستساغ، فيما عناق الحاضر فاتر، بدون أن ينجح في كشف سبب مغالاة الشمس بدلالها في هذه البقعة من بيروت!

سمير مدلّل هذا البحرُ لي

الشباك التي نصبها لاصطياد الأسماك أسرته وأنسته مهنته الأولى (هيثم الموسوي)

ينظر إليكَ بعينين زرقاوين تنضحان بعذوبة مارد أزرق. مارِدٌ مُتقلّبُ المزاج: مرةً تراه هادئاً يمازحُكَ بموجةٍ من هُنا أو نسمةٍ من هناكَ، ليتحوّل في مرة ثانية إلى مُتمرّد يطرحكَ في بقاع الأرض هازئاً من جبروتِكَ المُستعار. في هذه الحالة ليس هناكَ من ينقذكَ إلّا سمير مدلّل. هو العينان الزرقاوان اللتان تفهمان بحر الطالما سرحتا فيه

ريما حداد

سمير مدلّل هو ابن عين المريسة الذي لم يكن يعرف أنّ هوايته للسّباحة ستحدّد مسيرة حياته، كما تُحَدِّدُ اليومَ خطوطٌ عميقةٌ ملامح وجهه السبعينيّ. استهوته السّباحة باكراً فشارك في مباريات وبطولات عدّة في العشرينيّات من عمره، أبرزها ما كان يُعرَفُ بسباق جونيه . بيروت. كما كان صياداً ماهراً، ولكن «انقلب السحر على الساحر»، فالشّباك التي تأنّى في نصبها لاصطياد الأسماك أسرته وأنسته المهنة التي كان يعتاش منها.

كان مدلّل منجّداً للمفروشات، يملكُ محلاً صغيراً في منطقة فردان و«كان ماشي الحال»، إلى أن نشبت الحرب اللبنانية، فراح يهرب إلى البحر للسباحة والصّيد حتّى أمسى يبحث عن عيشه في زرقة مياه عين المريسة وفي مسبح «اللونغ بيتش» تحديداً، ناسياً مهنة التنجيد. «اخترت الإنقاذ كي أبقى قريباً من البحر» يقول، ولذا تقدّم للعمل كمنقذ في هذا المسبح، لكنّه قوبل بالرّفض بسبب نحالة جسمه. يشرح: «على عامل الإنقاذ أن يكون قويّ البنيّة وأنا كنت ضعيف الجسم، لكن ذلك لم يمنعني عن البحر فعملت مساعد منقذ وأثبتُّ نفسي حتّى حصلت على الوظيفة». كما شارك مدلّل في دورة للـ(YMCA) وحاز شهادة في الإنقاذ البحري وأتى متفوقاً في دفعته.

خلال السنوات الذهبيّة، كما يصف باعتزاز مرحلة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، كان يرتاد المسبح فنّانو ذلك العصر وعمالقته. يَذكُر منهم الممثّلين المصريّين عماد حمدي ورُشدي أباظة والمطربة الجزائرية وردة، أما الممثّلة مريم فخر الدّين فيذكرها ضاحكاً «كانت تلبس إسوارة وتعلّيا لزندا لحتّى تشدّ ايديا وتضل لاحقتني!». لسمير حكايات كثيرة كلّها عن البحر. منها المضحك المُبكي، ومنها كما يقول «العادي». فقد أَلِفَ في مسيرته حالات الغرق وعمليات الإنقاذ منها، حتى ما عادت تدهشه أو تثير خوفه كما قد يحصل مع أي شخص عادي في مواجهة أي حادث مماثل.

من الأمور الطريفة التي يذكرها، أنه رأى مرة امرأةً تتخبّط في الماء وقد بدت عليها علامات الإرهاق والتعب، فهرع لانتشالها لكن صراخ خطيبها أوقفه، إذ راح الأخير ينهيه عن لمسها مدعياً أنّها لا تغرق. يضحك سمير وهو يختم القصة: «انتهى الموضوع بانتشالهما معاً وإنقاذهما سوياً من الغرق».

حتّى خارج دوام عمله، يبقى المنقذ في ترقّب لأيّة حالة طارئة. يُخبرُك عن ليلة كان نائماً خلالها في بيته القريب من شاطئ البحر. أيقظه ابن خالته ليُخبره عن حريق شبّ في مركبٍ يبعد ما يُقارب الـ2 كلم من شاطئ البحر. ما كان من سمير إلا أن أخذ قاربه واتّجه نحو المركب مع ابن خالته واثنين من أصدقائه. كانت عمليّة الإنقاذ شديدة الدقّة بسبب صعوبة الرؤية ليلاً، لكن وعلى الرّغم من ذلك، تمكّن الأصدقاء من إنقاذ أربعة ركّاب من الطاقم بينهم رجل، يذكر المدلّل مُبتسماً، أنّه كان في حالة ذعر ويرتدي فقط ملابس داخليّة ليتبيّن لاحقاً أنه ليس شخصاً غريباً بل قريبٌ له من صيدا. وقد تبيّن لاحقاً أنّ المركب كان تابعاً للجمارك، فتوّجت عملية الإنقاذ هذه بتنويه من مسؤول في الأمن العام، من عائلة سلهب، وبجائزة مالية قدرها 250 ليرة.

أمّا من الحكايات المبكية، فيذكر سمير قصّة شابّ كان يحاول التقاط صور لبحرٍ هائج، لكن المارد الأزرق سرعان ما غدره بموجةٍ ابتلَعته في مياه لا يتجرّأ على مواجهتها أفضل من يُتقن فنّ السباحة. يومها ركض سمير نحو الصراخ الذي راح يعلو من أفواه المتفرّجين على موتٍ مُحتّم، ولكنّه عدل عن القفز في الماء لعدم توفّر سلّم للنجاة.

يشدّد المنقذ على أهميّة هذا السلم، فمن دونه يستحيل أن تنجح عمليّة إنقاذ إذ لن يتمكّن أحدٌ، مهما كان متمرّساً، من انتشال الغريق والمحافظة على سلامة نفسه. يُضيف سمير أنّ لم يتجرّأ أحد على النزول إلى الماء فضاع الشاب وضاعت معه آلة تصوير وصورٌ لم ترها سوى عينين أطفأتهما سريعاً المياه المالحة. تتخطى مهنة سمير كونها مجرد عمل يعتاش منه لأن شروط ممارستها تحوّلها إلى أسلوب حياة. على المنقذ أن يهتمّ بطعامه، لذلك يبتعد عن المأكولات السريعة ويتبع حمية غذائية متوازنة. كذلك يمتنع عن المشروبات الرّوحية أثناء عمله ويتفاداها خارجه حتّى لا تؤثّر في تركيزه. بالنسبة إليه، عامل الإنقاذ هو الذي يعلّم السّباحة للمبتدئين والذي يؤمّن البيئة المناسبة والآمنة لروّاد المسابح، إذ عليه أن يعرف كيفيّة التصرّف في كلّ الحالات ومع جميع الفئات العمريّة. كما عليه أن يتمتّع بسرعة بديهة وبدمّ بارد في الوقت عينه ليواجه أيّة حالة طارئة.

سمير مدلل لم يمل يوماً من البحر ولم يَنْتَبه ندمٌ «لأنّ هذه المصلحة جزء مني، فمن دونها لا حياة». لا يزال إلى اليوم يفضّلها على باقي الوظائف الأُخرى. أخذ المنقذُ البحرَ حبيبةً وشريكةً، تشهق وتزفر، تحبّ وتكره، من المستحيل ترويضها. البحرُ يجذُبُكَ بهدوئه المصطنع ليبتلعكَ بلحظةٍ نشوة باردة. يُلين روحك فتستسلم لزرقته. يتملّك جسدك من ثُمّ حواسك بل يتملّكُ كلّ جزء من كيانك.